الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠)

يا إخوةُ إنَّ الله لكونِهِ غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرَةِ محبتِهِ التي أحبَّنا بها* حينَ كنَّا أمواتًا بالزلّاتِ أحيانا مع المسيح. (فإنَّكم بالنِعمَةِ مخلَّصون)* وأقامَنا معهُ وأجلَسنا معهُ في السماويَّات في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبَلَةِ فَرْطَ غِنى نِعمَتِه باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنعمةِ مخلَّصونَ بواسِطةِ الإيمان. وذلك ليسَ منكم إنَّما هو عطيَّةُ الله* وليسَ من الأعمالِ لئَلاّ يفتخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحنُ صُنعُهُ مخلوقينَ في المسيحِ يسوع للأعمالِ الصالحةِ التي سَبَق اللهُ فأعدَّها لنسلُكَ فيها.

الإنجيل

(لوقا ١٦: ١٩–٣١)

قال الربُّ كان إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأُرجوان والبَزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يومٍ تنعُّماً

حول الرسالة

تقرأ كنيستنا المقدَّسة، قبل عشرة أيّام من دخولنا فترة الصوم الميلاديّ (١٥ تشرين الثاني)، الذي من خلاله نتهيّأ لاستقبال ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد، مقطعًا من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس (٢: ٤–١٠). يصف الرسول في الآيات الثلاث الأولى حياة النعمة الجديدة مقارنةً مع حياة الخطيئة السابقة والموت، الأمر الذي نقرأه: «وأنتم إذ كنتم أمواتًا بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم...». يتذكّر المؤمن، عندما يسمع رسالة اليوم، الخلاص الذي أعدَّه الله للإنسان من أجل إعادته إلى مكانته التي سقط منها.

بعد أن خلق الله الخليقة كلّها، بكلمته المحيية، وسلَّط الإنسان عليها، إختار هذا الأخير الخطيئة ورفض عطيَّة الله فابتعد بإرادته عن فردوس النعيم والسُّكنى في الملكوت بفعل عصيانه كلمةَ الله، فكانت النتيجة أنَّ الإنسان مات بالذنوب والخطايا وأصبح غير مستحقّ للخلاص من جرّاء فعله. دخلت الخطيئة العالم مع آدم، وأدخلت معها حالة الفساد والموت، فاستسلمت الطبيعة البشريَّة للشيطان وأصبح الكلّ مستعبَدًا له، بإرادته، وصار يخطئ أكثر وأكثر. لم يعِ أحدٌ تقريبًا الصالحات التي وعد بها المسيح، بل لحقوا القوى الشرّيرة التي لم تفِد الإنسان بشيء بل أرسلته إلى الهلاك والموت. مع هذا كلّه، يقول لنا الرسول بولس إنَّ «الله الذي هو غنيّ بالرحمة، من أجل محبَّته الكثيرة التي أحبَّنا بها ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٤). بدلاً من الغضب الذي كان منتظرًا من الله عن عدل وحقّ، ظهرت رحمته ومحبّته للبشر. لم تكُن أعمال الإنسان تستحقّ محبَّة الله وتحنّنه، بل الغضب والعقاب القاسي، مع ذلك أحبَّنا الربّ بغنى رحمته. لم يعامل اللهُ الإنسانَ بالمِثل، لم يبتعد عنه أو يرفضه، بل اندفع نحو جبلته من تلقاء ذاته. اتّخذ طبيعتنا الساقطة صائرًا مثلنا بفعل محبّته، حاملاً على نفسه عواقب الخطايا البشريّة، مانحًا إيّانا الخلاص على الرغم من عدم

العدد ٤٤ / ٢٠١٨

الأحد ٤ تشرين الثاني

تذكار البار ايوانيكيوس الكبير والشهيدين نيكاندرس وأرميوس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

استحقاقنا: «في هذا هي المحبّة ليس أنّنا أحببنا الله، بل هو أحبّنا وأرسل ابنه كفّارة لخطايانا» (١يو٤: ١٠). لم يكن قصد الله من تجسّده أن يبرهن للإنسان قدرتَه وأن يُظهر له نعمته. مقدار محبّة الله ولطفه سيتضّح للمؤمن عندما يتنعَّم بالنِّعم الممنوحة له بغزارة عند اقتباله الروح القدس. لم يساهم الإنسان بالخلاص البتّة، إذ هو غير مستحقّ لذلك، بل افتُدي بعطيّة من الله وحده. الخلاص عطيّة إلهيّة ووديعة مجانيّة في يد الإنسان أن يحافظ عليها بقدر محافظته على إيمانه. ليس الخلاص نتيجة محاولات بشريَّة، بل هو عطيّة نعمة الله: «بالنّعمة أنتم مخلَّصون» (أف٢: ٨). لكنّ هذا الخلاص ليس حالة جامدة بل يتطلَّب من الإنسان المؤمن سعيًا وسهرًا دائمَين حتّى يظلّ ثابتًا في وضعه الجديد ويسير بقوة إلى «يوم الخلاص» محصَّنًا في اليوم الرهيب. ينال الإنسان نعمة الخلاص في جرن المعموديّة حيث يموت مع المسيح ويقوم معه في حياة جديدة يتذوَّق فيها، مسبقًا، الخيرات المستقبلة.

عندما جبل الله الإنسانَ بيديه المقدّستين كان كلّ شيء حسنًا (تك١: ٣١) «للأعمال الصالحة» (أف٢: ١٠)، لكنّ الإنسان، بسبب الشرّ المتسلِّط عليه، لم يُبقِ شيئًا صالحا. فمن العلاقات مع أخيه الإنسان التي أصبح يسودها الحسد والغيرة والنميمة والتكبّر، إلى العلاقة مع الطبيعة التي يكلّلها سوء الإستخدام الذي يظهر من خلال التغيّر المناخيّ والتلوّث البيئيّ المؤدّي إلى الأمراض والسرطانات، أضف إلى ذلك الشذوذ الأخلاقيّ الخارج عن كلّ ما أوصاه الربّ للإنسان عندما خلقه، فأصبح الإنسان قاتلًا للكون بدلًا من أن يُحافظ على السيادة عليه التي منحه إيّاها الله.

دعونا نحافظ على الصلاح، هذه البذرة الإلهيّة المغروسة فينا، لأنّنا إذا فقدناها، فقدنا عنصرًا مهمًّا من الصورة الإلهيّة التي خُلِقنا عليها، وأصبحنا نُشبه حيوان الغاب الذي يبدّي مصلحته وقوّته على صلاحه وصلاح مَن يشاركه العيش.

أعجوبة للقدّيس نكتاريوس

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ٩ تشرين الثاني للقديس نكتاريوس أسقف المُدُن الخمس العجائبي. نَروي هنا خبر إحدى العجائب التي تمّت بواسطة قدّيسنا مع الأب نكتاريوس فيتاليس، أحد كبار الآباء الروحيّين اليونانيّين، الذي رقد بالرب في ٢ شباط ٢٠١٨. عاش الأب نكتاريوس في مدينة لافريو الساحليّة جنوب-شرق أثينا. أُنعم عليه بعدّة مواهب، وبقي حتّى آخر أيّامه مقصدًا لطالبي الإرشاد والتعزيات الإلهيّة. بنى، فوق الكنيسة الرعائيّة التي خدمها، هيكلًا ومزارًا للقدّيس نكتاريوس، كانا قَيد الإنشاء يوم حدثت الأعجوبة التي رواها الأب نكتاريوس نفسه.

قال: مطلعَ الثمانينات، أُصِبتُ بسرطان خطر أخذ يتفاقم بسرعة أعجزت الأطبّاء. ظهر وسط صدري جرح مفتوح ينزف دومًا دمًا وقيحًا. غالبًا ما مزّقت قميصي الداخليّ وضمّاداتي من شدّة الألم. كنت أرى نفسي سائرًا نحو موت فاخِراً* وكان مسكيٌن اسمُهُ لعازرُ مطروحاً عند بابهِ مُصاباً بالقُروح* وكان يشتهي أن يشبَعَ من الفُتاتِ الذي يسقُط من مائدةِ الغني. بل كانتِ الكلابُ تأتي وتلحسُ قُروحَهُ* ثمَّ ماتَ المسكينُ فنَقَلَتْهُ الملائكةُ إلى حِضنِ إبرهيمَ. وماتَ الغني أيضاً فدُفنَ* فرفعَ عينيهِ في الجحيم وهو في العذابِ فرأى إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ في حِضنهِ* فنادى قائلاً يا أبتِ إبرهيمُ ارحمني وأرسِل لعازرَ ليُغَمِّسَ طَرَف إصبَعِهِ في الماءِ ويبرِّدَ لساني لأنّي مُعذَّبٌ في هذا اللهيبِ* فقال إبرهيمُ تذكَّرْ يا ابني أنَّك نِلتَ خيراتِك في حياتِكَ ولعازرُ كذلك بلاياهُ. والآن فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّبُ* وعلاوةً على هذا كلّهِ فبيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبِتَتْ حتى إنَّ الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون ولا الذين هناك أن يعبُروا إلينا* فقال أسألكَ إذاً يا أبتِ أن تُرْسِلَهُ إلى بيت أبي* فإنَّ لي خمسةَ إخوةٍ حتى يشهدَ لهم لكي لا يأتوا هم أيضاً إلى موضعِ العذابِ هذا* فقال لهُ

إبرهيم إنَّ عندهم موسى والأنبياءَ فليسمعوا منهم* قال لا يا أبتِ إبرهيمُ بل إذا مضى إليهم واحِدٌ مِنَ الأمواتِ يتوبون* فقال لهُ إن لم يسمعوا من موسى والأنبياءِ فإنَّهم ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدّقونهُ.

تأمل

يقول الرب على لسان نبيّه داود: «هلموا أيها البنون واستمعوا لي فأعلّمكم مخافة الرب. مَن هو الإنسان الذي يهوى الحياة...

صُنْ لسانك عن الشرّ وشفتيك عن التكلم بالغش. حِدْ عن الشرّ واصنع الخير...

عينا الرب نحو الصِدّيقين وأذناه إلى صراخهم... أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم... كثيرة مصائب الصِدّيق، ومن جميعها ينقذهم الرب« (مز ٣٣: ١٢–١٨، ٢٠).

ان أبا كل حنان وكل رأفة، له أحشاء الرحمة لجميع الذين يخشونه، فهو يمنح بدافع من عطفه نعمة لجميع الذين يقتربون إليه بقلب بسيط لذلك فلا يكن فينا

محتَّم. طبعًا، لم يكن الموت بذاته يخيفني، حتى إنّي جهّزت مكان قبري وكلّ لوازم دفني. طلبتُ فقط إلى والدة الإله وقدّيسي الحبيب، ألاّ أموت قبل إنجاز بناء الهيكل وإقامة أوّل قدّاس إلهيّ فيه.

صباح الأربعاء ٢٦ آذار ١٩٨٠، الأسبوع الخامس من الصوم الأربعينيّ المقدّس، دخل الكنيسة شيخٌ قصير القامة، أصلع، ذو لحية ناصعة البياض، يشبه القدّيس نكتاريوس كما نراه في الصور الفوتوغرافيّة. كنتُ في المكتب الخلفيّ مع سيّدة مسؤولة عن تنفيذ الأيقونات، وسيّدة مسؤولة عن تنظيف الكنيسة هي أوّل مَن رأى الزّائر من فتحة الستار وأشارت لي كي أخرج إلى الكنيسة. كنتُ أتألّم بشدّة، لهذا لم أبارح مكاني، لكنّني، على غير عادتي، وجدت نفسي أراقبه. تناول ثلاث شمعات أشعل منها اثنتين، بعدها سجد أمام كلٍّ من الأيقونات، إلا أيقونة القدِّيس. ثمّ وقف برهةً أمام الباب الملوكي، مصلّبًا راحتيه على صدره، والتفت إلى المسؤولة وسألها إن كان كاهن الكنيسة موجودًا. أرادت السيّدة تجنيبي التّعب فنفت مدّعيةً أنّني مريض في البيت، فأجابها: «حسنًا... أتمنّى لكم صلوات مقبولة وفصحًا مُباركًا»، ومشى باتّجاه البوّابة.

أسرعت السيّدة لتخبرني كم يشبه ذاك الشيخ القدِّيسَ نكتاريوس، وأنّ عينيه كانتا تلتمعان نورًا، وأنّها متأكّدة من أنّه القدّيس نفسه وقد جاء ليعينني. ظننتها تقول هذه الكلمات لتعزّيني، فشكرتها، لكنّ شعورًا راودني عن أنّ الأمر صحيح، فأرسلتها تبحث عنه وترجوه ليعود. ذهبْت برفقة مسؤولة الأيقونات، وخرجتُ أنا ببطء من المكتب ودخلت الهيكل. عانقتُ المصلوب باكيًا، متضرّعًا، وملصقًا به موضع جرحي النّازف. هنا سمعتهما قد عادتا، فصرخت المسؤولة: «يا أبانا، ها الشيخ قد عاد». خرجتُ وسلّمت عليه وهممت بتقبيل يمينه فسحبها وسارع هو إلى تقبيل يميني. سألتُه: «ما اسمك؟»، فأجابني: «أناستاسيوس» (إسم القدّيس نكتاريوس في العماد). دعوته للتبرّك من الذخائر المقدّسة، فتناول من جيبه نظّاراته الرقيقة ذات الإطار المعدنيّ والذراع الواحدة. أصابتنا القشعريرة أنا والسيّدتين الحاضرتين فور رؤيتنا النظّارات. إنّها نظارات القدِّيس الموجودة لدينا في علبة الذخائر، والتي كانت الأمّ المتوحّدة نكتاريّا (رئيسة الدير الذي أنشأه القدّيس في آيينا) قد قدّمتها لي. وضعَ النظّارات قائلًا بصوت خافت: «الإيمان هو كلّ شيء»، وانحنى بورع يقبّل كلّ الذخائر المقدّسة، إلاّ ذخائر القدّيس نكتاريوس! إستغربتُ الأمر فسألته: «سامحني أيّها المبارك. القدِّيس نكتاريوس عجائبيّ أيضًا، فلماذا لا تقبّل ذخائره؟». لم يجب، بل اكتفى بالنظر إليَّ مبتسمًا كطفل. سألتُه: «من أين أنتَ؟ أين تسكن؟»، فأشار بيده ناحية الهيكل الجديد قيد البناء قائلاً: «لم يكتمل بيتي بعد، ووضعي لا يسمح لي بالتنقّل من مكان إلى آخر». تأثّرتُ لكلامه، لكنّني لم أفهم معناه. عندئذٍ اعترفتُ له بأنّ المسؤولة لم تقل الحقيقة عندما أخبرته بأنّي مريض، بل أرادت أن تجنّبني التعب. أخبرتُه بأنّي مصاب بالسرطان ومشرف على الموت، وأشتهي إنجاز البناء وإقامة

القدّاس الأوّل فيه. قال لي: «لا تقلق يا حبيبي. أنا ذاهبٌ الآن إلى باروس لأكرّم القدِّيس أرسانيوس، ولأزور الأب فيلوثيوس (زرفاكوس)، وهمّ بالرحيل. عندئذٍ رفعتُ راحتيّ وتلمّست وجهه قائلاً: «أيّها الشيخ الجليل، وجهك يشبه وجه القدِّيس نكتاريوس كثيرًا! تدحرجت دمعتان من عينيه، باركني بإشارة الصليب وأمسك بكتفيّ وقبّلني. استمدّيت شجاعة من محبّته وفتحت ذراعيّ لمعانقته. مددتُهما إلى الأمام ورغم أنّني كنتُ أراه أمامي، إلاّ أنّ ذراعيّ عانقتا الهواء! إقشعرّيت ورسمت إشارة الصليب عدّة مرّاتٍ، وقلتُ له ثانيةً: «شيخي، أريد أن أعيش لأقيم القدّاس الأوّل فوق، في الكنيسة. ساعدني أرجوك». تحرّك، ووقف أمام أيقونته، ضمّ راحتيه وقال: «يا ولدي نكتاريوس، لا تحزن، إنّه اختبار عابر. ستتحسّن حالك وتتعافى، ستحصل المعجزة، وسيسمع العالم كلّه صداها». إختفى الشيخ حالاً من أمامي، رغم أنّ الباب الموصد لم يُفتح في تلك اللّحظة. هرعتْ السيّدتان للّحاق به، أدركتاه عند محطّة الحافلات، لكنّه كان قد استقلّ الحافلة واختفى!

بعد شهرين، في ٢ تمّوز، قصدتُ مستشفى «القدِّيس سابا» برفقة مطراننا أغاثونيكُس لمتابعة حالتي. بقي المطران يتحدّث مع المدير العام بشأني. خلال هذا الوقت أُدخلتُ للخضوع للصور والفحوص الطبّيّة. بعد ذلك، عند الواحدة إلا ربعًا، خرج البروفسور وقال للمجتمعين هناك: «لا تجزعوا! خذوا الأب نكتاريوس إلى كنيسته ليُكملها. لقد تّمت هنا معجزة كبيرة!»

كان يقف أمامه المطران ومحافظ شرق أثينا والمدير العامّ، فاجتمع أناسٌ آخرون. توجّه إليَّ البروفسور حاملاً تقريري الطبّي، وبادرني بالقول: «أبتِ نكتاريوس، خذ ملفّك واذهب به إلى شفيعك، هو أيضًا صار طبيبك وقد شفاك. ليس عندنا تفسير علميّ لِما حدث، لكنّك الآن خالٍ من أيّ أثر للمرض. اذهب بسلام!». أخذنا التقرير وعدنا، ويبدو أنّ الخبر سبقنا. وصلنا إلى الكنيسة فوجدنا الأجراس تُقرَع، وحشدًا كبيرًا من المؤمنين يملأ الكنيسة، كلّهم جاثون يمجّدون الله. رفعتُ يديّ إلى العلاء مردّدًا: «إلهي، الشكر الأوّل والأعظم هو لك، وللقدِّيس نكتاريوس، وللقدِّيسين جميعًا. والشكر الثاني للشعب المبارك الذي كان يتضرّع دائمًا من أجلي. المجد لله على كلّ شيء».

سهرانيّة

ببركة سيادة راعي الأبرشيّة المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام، وبمناسبة عيد الرسول كوارتوس مؤسّس كنيسة بيروت وأوّل أساقفتها، تُقام سهرانيّة تبدأ عند السابعة من مساء الجمعة ٩ تشرين الثاني ٢٠١٨ في كاتدرائيّة القدّيس جاورجيوس – وسط بيروت، تخدمها جوقة من مدرسة القدّيس رومانوس المرنّم للموسيقى الكنسيّة.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

غِش، ولا تتكبّر نفوسنا بسبب سخاء عطاياه وسَعَتها، بحيث لا تطبّق علينا اقوال الكتاب: «الويل للذين يملأ الغش قلوبهم، ويقولون ونفوسهم مترددة: ان هذه المواعيد قد سمعناها أيام آبائنا وها نحن قد سهرنا فلم يصلنا شيء من ذلك كلّه».

يا حمقى، شبّهوا أنفسكم بشجرة: خذوا مثلًا كرمةً. انها تفقد أولاً أوراقها ثم تنبت البراعم فالأوراق فالأزهار فالحصرم، وأخيراً يأتي العنقود. كما ترون، تبلغ الثمرة نضجها في وقت قليل والواقع ان إرادة الله تتمّ بدون تأخير وفجأة كما يشهد بذلك الكتاب المقدس: «ولولوا لأن يوم الرب قريب، قادمٌ كَخَرابٍ من القادِرِ على كلّ شيءٍ. لذلك ترتخي كلُّ الأيادي... ووقتها قريبُ المجيءِ وأيامُها لا تطولُ» (اش ١٣: ٦–٧، ٢٢) ويأتي بغتةً إلى هيكله السيّد الذي تلتمسونه» (ملا ٣: ١).

القديس إقليمس الرومي